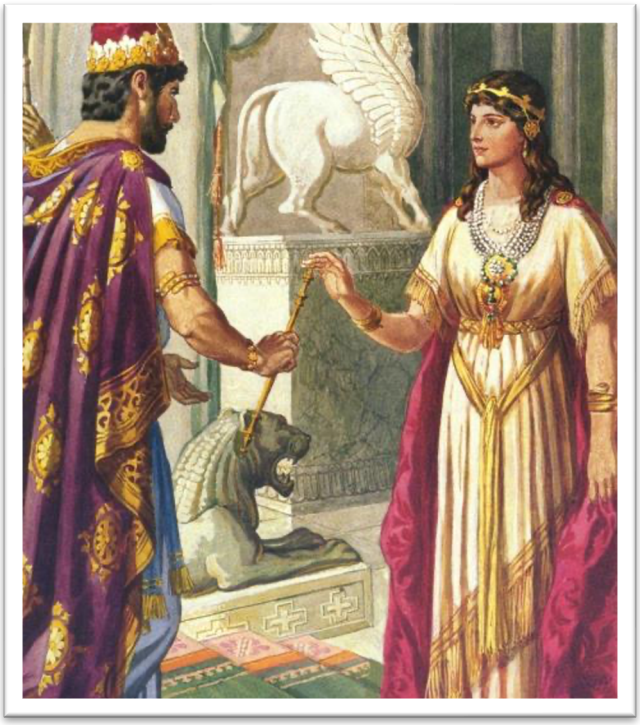

سفر أستير
"سفر العناية الإلهية"

٧

الأصحاح السابع

سقوط الأقنعة

"لأَنَّكَ أَنْتَ تُخَلِّصُ الشَّعْبَ الْبَائِسَ، وَالأَعْيُنُ الْمُرْتَفِعَةُ تَضَعُهَا" (مز ١٨: ٢٧)

قد جاء الميعاد، واقترب الوقت، ليضع الرب حداً لكبرياء هامان الشرير وغطرسته.. وإن كان الله يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة (٢ بط ٣: ٩)، فهو أيضاً وضع للبحر حداً لا يتعداه، وحجز البحر بمصاريع، وقال له: **"إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلاَ تَتَعَدَّى"** (أي ٣٨: ١١)، الله إله قدير **"الَّذِي يَجْعَلُ الْعُظَمَاءَ لاَ شَيْئًا، وَيُصَيِّرُ قُضَاةَ الأَرْضِ كَالْبَاطِلِ"** (إش ٤٠: ٢٣)، وعد **"إِنَّهُ سَيَخْزَى وَيَخْجَلُ جَمِيعُ الْمُغْتَاظِينَ عَلَيْكَ"** (إش ٤١: ١١)...
كانت الملكة أستير قد دعت الملك أحشويرش ورئيس وزرائه المفضل "هامان" إلى وليمة أخرى، فجاءا ليشربا الخمر عند أستير الملكة (٧: ١)، وحتى هذه النقطة لم يكونا يعلمان بجنسية أستير وكيف أنها تنتسب للشعب اليهودي الذي صدر مرسوماً ملكياً بإبادته.. أما عن ولائم الخمر فقد كانت أمراً متعارف عليه عند الملوك في كل الأزمنة القديمة... فمن بيلشاصر الذي صنع وليمة عظيمة لعظمائه الألوف، وشرب الخمر قدام الألف (دا ٥: ١)، إلى سليمان الملك الذي جمع إسرائيل **"جُمْهُورٌ كَبِيرٌ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ"** (١ مل ٨: ٦٥)، وهيرودس الذي عمل في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل (مر ٦: ٢١)

جاء الملك ومعه هامان **"فَقَالَ الْمَلِكُ لأَسْتِيرَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَيْضًا عِنْدَ شُرْبِ الْخَمْرِ: «مَا هُوَ سُؤْلُكِ يَا أَسْتِيرُ الْمَلِكَةُ فَيُعْطَى لَكِ؟ وَمَا هِيَ طِلْبَتُكِ؟ وَلَوْ إِلَى نِصْفِ الْمَمْلَكَةِ تُقْضَى"** (٧: ٢).
لاحظ معي في العدد السابق ما يلي:
١. أنها المرة الثالثة التي يُكرر الملك (ما هو سؤلك... ٥: ٣، ٦، ٧: ٢).

٢. الملك ينادي أستير باسمها لأنها محبوبة إلى قلبه ووجدت نعمة في عينيه (٢: ١٧، ٥: ٢).
٣. يناديها بلقب الملكة ليذكرها بمكانتها ووضعها الملكي.. فهي وإن كانت محبوبة لكنها أيضاً ملكة متوجة.
وهنا يطمئن قلب أستير أكثر وأكثر، فالملك راضي عنها **"وَرِضَاهُ كَسَحَابِ الْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ... بل "وَكَالطَّلِّ عَلَى الْعُشْبِ"** (أم ١٦: ١٥، ١٩: ١٢). ولأن **"حَقُّ الإِنْسَانِ فَمِنَ الرَّبِّ"** (أم ٢٩: ٢٦)، فعلمت أستير أن هامان هو الآلة المستخدمة من الشيطان لهلاكها هي وشعبها ف **"الْزَّارِعُ إِثْمًا يَحْصُدُ بَلِيَّةً، وَعَصَا سَخَطِهِ تَفْنَى"** (أم ٢٢: ٨)، وبطريقة مؤثرة وحكيمة، ولأنها الملكة المحبوبة تجيب أستير على سؤال الملك في هذه المرة بكلمات قليلة تخترق قساوة وجبروت أحشويرش، قالت: **"إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ، فَلْتُعْطَ لِي نَفْسِي بِسُؤْلِي، وَشَعْبِي بِطِلْبَتِي"** (أس ٧: ٣)

تتلخص كلماتها فيما يلي:
١. حياتها في خطر تواجه الموت
٢. تطلب الإنقاذ لكيلا تُقتل هي وشعبها

ظهرت شجاعة أستير في تشفعها عن نفسها وعن شعبها، ربما قضت أيام تتمرن على هذه الجملة، فهي تعلم من البداية أنها تخاطر بحياتها، ولهذا طلبت الصلاة لأجلها وقد جاء دورها الآن لتتشفع لأجل نجاة أمة بأكملها...
هل سمعتي يا أستير كلمات المرنم آساف حين قال: **"قَالُوا فِي قُلُوبِهِمْ: 'لِنُقْنِنَّهُمْ مَعًا!'. أَحْرَقُوا كُلَّ مَعَاهِدِ اللهِ فِي الأَرْضِ.. قَالُوا: 'هَلُمَّ نُبِدْهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَلاَ يُذْكَرُ اسْمُ إِسْرَائِيلَ بَعْدُ'** (مز ٧٤: ٨، ٨٣: ٤). فامتلأ قلبك بشجاعة إيمانية لكي تقفي في الثغر عن شعبك، أم تشددت كأنك تري من لا يُرى كما فعل موسى عبد الرب أمام فرعون..

"اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا" (غل ٦: ٧)
استمع الملك لكلمات أستير... فبادرها متسائلاً **"مَنْ هُوَ؟ وَأَيْنَ هُوَ هذَا الَّذِي يَتَجَاسَرُ"** (٧: ٥) فقالت أستير هو رجل خصم وعدو هذا هامان الردي.. و **"لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ، .. إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا"** (جا ١٢: ١٤)، ارتاع هامان أمام الملك والملكة، قد استنفذ فرص التحذير، التي جاءته أكثر من مرة.. من خلال الظروف، ومشيريه، وزوجته ولم يستمع.. **"مَكْرَهَةُ الرَّبِّ كُلُّ مُتَشَامِخِ الْقَلْبِ"** (أم ١٦: ٥)، وقبل السقوط تشامخ الروح، و **"الْحَارِثِينَ إِثْمًا، وَالزَّارِعِينَ شَقَاوَةً يَحْصُدُونَهَا"** (أي ٤: ٨)، لن يظل المكتوم مكتوماً ولا الخفي خفياً (لو ١٢: ٢) ولكن **"لأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لاَ يُجْرَى سَرِيعًا، فَلِذلِكَ قَدِ امْتَلأَ قَلْبُ بَنِي الْبَشَرِ فِيهِمْ لِفِعْلِ الشَّرِّ"** (جامعة ٨: ١١).
ولكن هل نسى الملك المرسوم الصادر بإبادة اليهود ولهذا يسأل من المتجاسر؟ هل جاءت كلمات أستير كناقوس إنذار وتنبيه قبل وقوع الكارثة.
كانت كلمات بسيطة من أستير ولكن **"ارْتَعَبَ فِي صِهْيَوْنَ الْخُطَاةُ. أَخَذَتِ الرِّعْدَةُ الْمُنَافِقِينَ"** (إش ٣٣: ١٤)، انكشفت المؤامرة الشريرة، وانطرح هامان عند قدمي أستير، ربما طالباً العفو أو لكي تتشفع له أمام الملك: هكذا الأشرار **"يَلْحَسُونَ التُّرَابَ كَالْحَيَّةِ، كَزَوَاحِفِ الأَرْضِ. يَخْرُجُونَ بِالرِّعْدَةِ مِنْ حُصُونِهِمْ"** (مي ٧: ١٧)، ويخرج الملك لحديقة القصر قليلاً وعند رجوعه يجد هامان منطرحاً عند قدمي أستير الملكة، فربما ظن أنه يريد بها شراً، وكان الرعب قد ملأ قلب هامان فجاءت تصرفاته بلا تعقل، **"لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: 'سَلاَمٌ وَأَمَانٌ'، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى"** (١ تس ٥: ٣)، اشتعل غضب الملك، وأدرك هامان أن رياح الغضب والانتقام التي زرعها سيحصدها فوراً، إذ على الملك أن يجد طريقة سريعة لإنقاذ ملكته المحبوبة.. صدر الأمر بأن يُصلب هامان على نفس الخشبة التي أعدها لمردخاي.

بعض الدروس الروحية من هذا الأصحاح: "لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا" (رو ١٥: ٤)،

- تفاخر الملوك القدماء بعظمة ولائمهم، وجاء ملك الملوك (رؤ ١٩: ١٦) سيد الأرض كلها وقال **"مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ"** (يو ١٨: ٣٦)، وحين صنع له لاوي ضيافة عظيمة، الذين كانوا متكئين معه كانوا جميعًا من العشارين والخطاة .. بل وعلمنا قائلاً: **"إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ: الْمَسَاكِينَ، الْجُدَعَ، الْعُرْجَ، الْعُمْيَ فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ،..** (لو ١٤: ١٣، ١٤) ولا يزال يقرع على الباب، باب قلبك يريد أن تفتح له ليدخل إليك ويتعشى معك.. يريد أن يأتي ويصنع عندك منزلاً. (يو ١٤: ٢٥).
- انكشفت مؤامراة هامان واتضح شره للجميع وحكم عليه بالموت.. وهذا ما فعله الرب بموته على الصليب، إذ جرد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً (فضح أمرهم) ظافراً بهم فيه (كو ٢: ١٥)، **"اَلْعَدُوُّ تَمَّ خَرَابُهُ إِلَى الأَبَدِ.... بَادَ ذِكْرُهُ نَفْسُهُ"** (مز ٩: ٦)، هل نسبح الرب مهللين لما صنعه لنا؟ هل نفرح بالفداء الأبدي المقدم لنا بالنعمة؟

- حصد هامان ما زرعه من شر في الخفاء، فقوانين الزرع والحصاد لا يمكن تجاهلها، **"لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا"** (غل ٦: ٨)، زرع يعقوب كذباً حين قتل حيوان وخدع اسحق أبيه لينال البكورية (تك ٢٧: ١ ـ ٢٩)، وبعد مرور سنوات خدعه بنيه بعد أن ذبحوا حيواناً وادعوا موت يوسف (تك ٣٧: ٣١)، أمر فرعون أن يقتل أولاد العبرانيين الذكور عند ولادتهم، وأمر الرب بقتل كل بكر للمصريين (خر ١، خر ١٢)، اما داود فقد زنى وقتل (٢ صم ١١، ١٨)، ويُقتل أولاده الثلاثة وتُغتصب ابنته، وسراريه أيضاً (٢ صم ١٦: ٢٠ ـ ٢٣، ٢ صم ١٣).
- أما شاول الذي هو بولس فقد كان واقفاً يحرس ثياب الذين رجموا استفانوس، ولكن بولس صار خليقة جديدة في المسيح يسوع، وأيضاً كما يقول قد فعلت ذلك بجهل، وبعد مرور سنوات واجه نفس الأمر فقد رُجِم هو أيضاً ولكن بلا أذى مدمر لأنه استطاع أن يقوم ويُكمل عمله بعد ذلك، ولأن الحصاد دائماً من نفس نوع البذار التي تُغرس كما قال الرب **"كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ"** (مت ١٠: ٤٢، ٢٥: ٣١ ـ ٤٦).

للدراسة الشخصية :

1. فرعون (خر ١٥: ٤)، وسنحاريب (٢ أخ ٣٢: ١)، نبوخذنصر (دا ٤: ٣٣)، جميعهم أرادوا إبادة شعب الله مثل هامان، ما هي نهايتهم؟